إِرْهَاصَاتُ المنْهَجِ التَّجْرِيبِيّ فِي الدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّة عِنْدَ بَعْضِ عُلَمَاءِ العَرَبِيَّة فِي القَرْنَيْنِ الثَّانِي والرَّابِعِ الهِجْرِيين دِرَاسَةٌ وَصْفِيَّةٌ وتأْصِيلِيَّةٌ

إِعْدادُ:

د: محمد بن سعيد الحويطي

أستاذ اللغويات المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الملك عبدالعزيز

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد،

فإن لعلماء العربية جهودًا غير يسيرة في دراستها، وكثير منها ضائع بين ملايين من السطور في آلاف من الكتب المطبوعة والمخطوطة، بل إن بعضها يُمَرُّ عليها مرورًا ولا يتنبه لها أحد، لكن بعد كثرة الاطلاع على الدراسات البينية والاطلاع على مناهج في علوم أخرى، ودراسات حديثة، يمكن للباحث التنبه لما غفل عنه سابقًا في قراءته، ومن ذلك الدراسات التجريبية عند علماء العربية. وتقوم هذا الدراسة بوصف وتأصيل لجهود بعض علماء العرب في الدراسات اللغوية وفق أصول المنهج التجريبي.

وقد استقرت خطة البحث وفق الآتي:

بدأ الباحث الدراسة بتمهيد وَضّحَ فيه مفهوم المنهج التجريبي ومميزاته وخطوات إجرائه، ثم انتقل إلى رصد تجارب بعض علماء العربية في القرنين الثاني والرابع الهجريين، ووصفها وتحريرها وفق أسس المنهج التجريبي، وذلك على النحو الآتي: قُسِّمت عينة الدراسة إلى قسمين، ودُرِس كل قسم منهما في مبحث مستقل، الأول للتجارب اللغوية عند أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثاني، والثاني للتجارب اللغوية عند ابن جني في القرن الرابع، واستخرج الباحث من كل تجربة فرضياتها والنتائج المترتبة عليها، فضلا عما يتعلق بها من متغيرات تابعة ومستقلة ومجموعة متغيرة ومجموعة ضابطة، ثم خَتمَ الباحث دراسته بما توصل إليه من نتائج.

نبذة مختصرة:

تقوم هذا الدراسة بوصف وتأصيل لجهود بعض علماء العرب في الدراسات اللغوية وفق أصول المنهج التجريبي، وقد بدأ الباحث الدراسة بتمهيد وَضّحَ فيه مفهوم المنهج التجريبي ومميزاته وخطوات إجرائه، ثم انتقل إلى رصد تجارب بعض علماء العربية في القرنين الثاني والرابع الهجريين، وتحريرها وفق أسس المنهج التجريبي، وذلك على النحو الآتي: قُسِّمت عينة الدراسة إلى قسمين، ودُرِس كل قسم منهما في مبحث مستقل، الأول: للتجارب اللغوية عند أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثاني، والثاني: للتجارب اللغوية عند ابن جني في القرن الرابع، واستخرج الباحث من كل تجربة فرضياتها والنتائج المترتبة عليها، فضلا عما يتعلق بها من متغيرات تابعة ومستقلة ومجموعة متغيرة ومجموعة ضابطة، ورصدت الدراسة تجارب أجراها هؤلاء العلماء على أنفسهم وعلى غيرهم من العرب الفصحاء، ثم خُتمت بما توصل إليه من نتائج، ومن أهمها: وجود مبدأ التجريب في الدرس اللغوي منذ أبي عمرو بن العلاء ومن تلاه كالخليل بن أحمد وابن جني، وأن تجاربهم احتوت غالبًا على عناصر التجربة الرئيسية المعمول بها في الدراسات الحديثة.

تمهيد:

اتجه كثير من العلماء في مختلف الحقول العلمية إلى اعتماد المنهج التجريبي في دراساتهم لأسباب كثيرة، منها: أنّ اعتماد الملاحظة فقط في البحث العلمي ليس كافيًا للخروج بنتائج مؤكدة، في حين أن المنهج التجريبي يعتمد في جوهره على التجربة العلمية القائمة على قواعد المنهج العلمي، مما يتيح فرصة للتأكد من صحة الملاحظات والفرضيات والاستنتاجات، ومعرفة الوسائل الصحيحة للتعامل مع الظواهر وتفسيرها، ومعرفة قوانينها، والتأكد من تطابقها مع حقيقة ما هو واقع بواسطة تكرار التجربة للوصول إلى نتائج موضوعية، هذه النتائج المتحصل عليها عن طريق التجربة تفرض نفسها على الباحث حتى إن كانت تتعارض مع رغباته أو ظنونه.

معلوم أن الخطوات المتبعة في كثير من العلوم المادية لوضع النظريات العلمية تمر بسلسلة من الخطوات، فتبدأ بملاحظة الظاهرة ثم بوضع الفرضية، ثم المراقبة المنهجية وجمع البيانات، ثم تحليل البيانات، ثم اختبار الفرضية بإجراء التجارب، فإن نجحت هذه الفرضية بهذا الاختبار فإنها تصبح مؤكدة ويتكون منها نظرية تفسر الظاهرة ويمكن التنبؤ بتصرفاتها، أما إن لم تنجح في الاختبار، فالفرضية في هذه الحالة غير صحيحة، وعليه، إما أن تُنقح ويعاد جمع البيانات من جديد وتحلل ثم تختبر من جديد، وهكذا دواليك إلى أن تثبت صحتها بالاختبار، وإلا فإنها تُرفض تمامًا[1].

---

(١) Patrick mcneill & Steve chapman ,Research methods, (٢٠٠٥, Routledge, Third edition), p٦٩.

إن الصورة التي وصل إليها المنهج التجريبي في العصر الحديث من دقة وصرامة في العلوم المادية مختلفة تمامًا عما كانت عليه قبل عشرة قرون، لأن العلوم– كما هو معلوم– تبدأ في صورة إرهاصات، تتطور شيئًا فشيئًا حتى تنضج، ومثل ذلك كان في التجارب اللغوية عند علماء اللغة، إذ لم يكتفوا بالسماع عن الأعراب وتدوين ما يُسمع منهم لوضع القوانين اللغوية لما يطرد منها، بل تعدوه إلى إجراء التجارب على الأعراب الفصحاء، ولم تكن تلك الصورة الوحيدة لإجراء التجارب اللغوية عندهم، بل أجروها على أنفسهم أيضًا، كل ذلك كي يتأكدوا من صحة قاعدة أو يثبتوا صحة فرض افترضوه، أو لاكتشاف أمر جديد.

وقد تقننت هذه التجارب في العصر الحديث عند علماء اللغة الغربيين، ونصوا على أن الباحث الميداني يجب عليه أن يجري التجارب على الناطق باللغة محل الدراسة بطرح الأسئلة عليه ليتمكن من الحصول على المادة العلمية(١)، وقد سبقهم إلى هذا المنهج التجريبي علماء العربية بأكثر من ألف سنة _ كما سيأتي في تجارب أبي عمر بن العلاء وابن جني _، ولكي يستطيع الباحث تأصيل عملهم ووصفه رأى التمهيد لذلك بعرض أهم ما يتعلق بالمنهج التجريبي في العصر الحديث عرضًا مختصرًا يتضمن أهم مصطلحاته ومميزاته وخطواته وكيفية ضبط التجربة، كل ذلك كي يستطيع القارئ تلمس ما اتفق من

(١) Claire Bowern, Linguistics fieldwork a practical guide, (٢٠٠٨, palgrave macmillan, first published), p٥.

أعمالهم مع ما يتطلبه المنهج التجريبي من أمور، من غير انتقاص لجهدهم أو تضخيم زائف له.

هناك جانبان للمنهج التجريبي في الدراسات اللغوية، جانب نظري، وآخر عملي، فالنظري يكون بوضع الاحتمالات والفروض ومحاولة وضع مادة تتوافق مع القانون الذي يعتقده عالم اللغة، أما الجانب العملي منه فهو ذلك الجانب الذي يعتمد على صنع واقع للغة ثم ملاحظته ودراسة أسبابه وكيفية التحكم فيه. ويمكن القول إن صنع ظاهرة ما في المنهج التجريبي العملي يخضع لشروط الباحث نفسه، فيستطيع بذلك إبعاد كافة الأمور التي قد تحول دون فهم حقيقة الظاهرة والعوامل الأساسية المؤثرة في ظهورها في حين أن الملاحظة فقط- لظاهرة لغوية ما كما هو الحال في السماع فقط عن الأعراب - لا تخضع لشروط الباحث، وتتداخل معها عوامل عديدة، الأمر الذي يصعب معها تمييز العامل المؤثر فيها.

إن لكل علم مصطلحاته، ومعرفتها هو مفتاح فهمها، لذلك رأى الباحث التعريف بأهمها، وهي كالآتي:

أولا: ما يتعلق بالعوامل المؤثرة في التجربة:

١) المتغير التجريبي: هو العامل الذي يتحكم فيه الباحث عن قصد لمعرفة مدى تأثيره على المجموعة التجريبية محل الدراسة.

٢) المتغير التابع: هو النتيجة التي تظهر بعد أن يُدْخِل/يُطَبق الباحث المتغير التجريبي على المجموعة التجريبية.

ثانيا: ما يتعلق بمجموعة الدراسة:

٣) المجموعة التجريبية: هي المجموعة التي تتعرض للمتغير التجريبي لمعرفة تأثيره عليها.

٤) المجموعة الضابطة: هي المجموعة التي لا تتعرض للمتغير التجريبي، وتكون تحت ظروف عادية – أي: لا يطرأ عليها أي تدخل–، وتكون فائدتها في أنها تبين للباحث أن الفرق الذي يحصل بين المجموعتين هو من تأثير المتغير التجريبي.

ثالثا: ما يتعلق بالقائم بالدارسة:

١) الفرضية: هي تخمين أو استنتاج أو تفسير مؤقت يصوغه الباحث ويتبناه في بداية الدراسة ليوضح ظاهرة ما.

٢) الاستنتاج: هو عملية استخلاص نتيجة من خلال الحقائق المعطاة.

مميزات التجربة العلمية.

تتميز التجربة العلمية ببعض الخصائص التي تنفرد بها عن غيرها من أساليب الملاحظة، ولعل أبرز هذه المميزات:

١) يمكن تصميم الخطة تصميمًا واضحًا قبل البدء في تنفيذ التجربة.

٢) يمكن تحديد حدوث الظاهرة في ظروف معينة تسمح للباحث بملاحظتها ملاحظة دقيقة، كما تسمح له بإعادة التجربة مرات متعددة والتحقق من نتائجها.

٣) إمكانية تغيير ظروف التجربة، وملاحظة التغييرات التي تحدث جراء تغيير الظروف.

٤) تتيح التجربة قياس أثر العوامل التي تؤدي إلى إحداث الظاهرة.

٥) تختبر التجربة صحة الفروض في الدراسة[١].

خطوات المنهج التجريبي

هناك عدة طرق للمنهج التجريبي، منها ما يبدأ بالفروض قبل الملاحظة الأولية، ومنها ما يبدأ بالملاحظة الأولية قبل الفروض. إلا أنهما يشتركان في أن التجريب يأتي متأخرًا عنهما.

أولا: الملاحظة:

هناك صلة بين الملاحظة والتجربة فهما تعبران عن مرحلتين في البحث التجريبي ولكنهما متداخلتان من الناحية العملية، فالباحث في حال الملاحظة الأولية يراقب الظاهرة التي يدرسها دون أن يحدث فيها تغييرًا أو يعدل الظروف التي تجرى فيها، أما في حالة التجربة فإنه يلاحظ الظاهرة بعد أن يوجدها في ظروف مصطنعة بتعديلها قليلا أو كثيرًا، مما يهيئ له دراستها على النحو الذي يريده، فالباحث يلاحظ ثم يجرب ثم يلاحظ نتائج تجربته، وربما لا يُظفر في هذا البحث بإشارة إلى الملاحظة الأولية عند من قام بالتجربة، لعدم اهتمام علماء اللغة في القرون الأولى بهذا الترتيب أو لعدم إشارتهم لها، إلا أن هذا لم يمنعهم من ذكر ملاحظاتهم بعد التجربة أو أثناءها كما سيأتي. ويمكن القول إن الباحث لا يقوم بإجراء تجربة أيا كانت هذه التجربة إلا بعد أن يكون عنده الحد الأدنى من المعرفة وآلة الملاحظة لتعينه على القيام بتجربته.

(١) راجح، أحمد عزت، أصول علم النفس، (القاهرة: دار الكاتب العربي، ط٧، ١٩٦٨م)، ص٤٢-٤٣.

ثانيا: الفروض:

تكون في كثير من الأحيان بعد ملاحظة الظاهرة، وذلك بتخمين الأسباب أو العوامل التي أدت إلى ظهورها.

ثالثا: التجريب:

هو أهم مرحلة في البحث، فالفروض ليس لها قيمة ما لم تثبت صحتها، لذا يجب إجراء التجارب وملاحظتها من جديد للتأكد من صحتها.

ضبط التجربة

إن من أهم ما يجب على الباحث فعله لضبط التجربة:

١) عزل المتغيرات التي تؤثر في نتائج التجربة، وهذا العزل أجراه كل من الخليل بن أحمد وابن جني في تجارب النطق بالحرف منفردًا عن بقية حروف الكلمة، وذلك بإدخال المتغير التجريبي على هذا الحرف فقط لمعرفة إمكانية النطق به في حال كونه ساكنا أو متحركا.

٢) تثبيت المتغيرات (مثل النوع- ذكر أو أنثى .، العمر- طفل أو بالغ- و مستوى الفصاحة و غيرها) بحيث يكون اختيار الأفراد متجانسا، وذلك كي يكون تأثيرها واحدًا على المجموعتين الضابطة والتجريبية، كما سيأتي في تجربة أبي عمرو بن العلاء.

٣) التحكم في درجة تأثير المتغير التجريبي على المتغيرات التابعة(١)، كما سيأتي في تجربة ابن جني على ابن الشجري وابن عمه غُصن.

(١) انظر: عباس، محمد خليل، وآخرون، مدخل إلى مناهج البحث في التربية وعلم النفس، (عمّان: دار المسيرة، ط١، ٢٠٠٧م)، ص١٧١-١٧٢.

ذُكِر سابقًا أن دراسة العلوم – سواء كانت مادية أو إنسانية – تبدأ على صورة إرهاصات، تتطور شيئًا فشيئًا حتى تنضج، وليست التجارب اللغوية عند علماء اللغة بمعزل عن هذا التطور، فقد احتوت أعمالهم على معظم خطوات وضع النظريات العلمية في العلوم المادية في العصر الحديث كما سيتضح من خلال هذه الدراسة، كما احتوت بعض تجاربهم على العناصر الأساسية وأركان التجربة الناجحة في العلوم المادية وهي: المتغير التجريبي _ أي: المستقل _، والمتغير التابع، والمجموعة تجريبية، والمجموعة ضابطة(١).

وكذلك احتوت تجاربهم على شروط يجب مراعاتها عند إجراء التجربة، وهي:

١) تكرار التجربة للتثبت من صحة نتائجها، ومن ذلك ما سيأتي في تجربة أبي عمرو بن العلاء.

٢) تجنب العوامل الشخصية مثل الميول العواطف، ومن ذلك ما سيأتي في تجربة أبي عمرو بن العلاء .

٣) تدوين النتائج المتوصل إليها كما هي دون التدخل فيها(٢)، ومن ذلك ما سيأتي في تجربة أبي عمرو بن العلاء وابن جني.

المبحث الأول: التجارب اللغوية عند أبي عمر بن العلاء

(١) Patrick mcneill & Steve chapman ,Research methods, p٧٠, (٢٠٠٥).

(٢) انظر: عبدالحميد، محمد إبراهيم، علم النفس التربوي، (الرياض: دار النشر الدولي، ط١، ١٤٢٤هـ)، ص١٤٥.

والخليل بن أحمد.

كان لأبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد تجارب لغوية، وهي منقولة لنا في هيئة نص محكي، لذلك رأى الباحث نقل نص التجربة كما هو، ثم تحريره ببيان ما احتواه من فرضيات ومجموعات تجريبية وضابطة ومتغيرات مستقلة وتابعة واستنتاجات.

أولا: تجربة أبي عمرو بن العلاء

نقل أبو القاسم الزجاجي تجربة لأبي عمرو بن العلاء يظهر فيها أن الأعرابي مهما بُذل من جهد لأن ينطق بغير لحن قومه، فإنه يأبى؛ لأن السليقة هي الموجهة لنطقه. قال: "ذكر أبو محمد [بن يحي بن المبارك] اليزيدي، قال: جاء عيسى بن عمر الثقفي إلى أبي عمرو بن العلاء ونحن عنده، فقال: يا أبا عمرو، ما شيء بلغني أنك تُجِيزه؟ قال: وما هو؟ قال: بَلَغَني أنك تجيز (ليس الطِّيبُ إلا المِسْكُ) بالرفع. قال [اليزيدي]: فقال له أبو عمرو: نِمْتَ يا أبا عُمَر وأَدْلَج الناس، ليس في الأرض حِجَازِيٌّ إلاّ وهو ينصب، ولا في الأرض تَمِيميٌّ إلاَّ وهو يرفع. قال اليزيدي: ثم قال أبو عمرو: تعال أنت يا يحيى ــ [يعني اليزيديّ]– وتعال أنت يا خَلَف – لخَلف الأحمر–: اذْهَبَا إلى أبي المَهْدِيِّ فلقناه الرفع فإنه لا يرفع، واذهبَا إلى أبي الـمُنتَجع التميمي ولقّناه النصب فإنه لا ينصب. قال [اليزيدي]: فذَهبتُ أنا وخلف، أتينا أبَا المهديّ، فإذا هو يصلي، ... ثم قضى صلاته والتفت إلينا فقال: ما خَطبكما؟ قلنا: جئنا نسألك عن شيء من كلام العرب. قال: هاتِيا. فقلتُ له: كيف تقول (لَيْسَ الطِّيبُ إلا المسْكُ)؟ فقال: أتأمراني بالكذب على كَبْرة سِنِّي! فأين الجاديّ؟

... فأين بَنَّة الإبل الصادرة؟ وأين كذا؟ وأين كذا؟ قال اليزيدي: فقال له خَلف: (ليس الشرابُ إلا العَسَلُ). قال: فما يصنع سودانُ هَجَر؟ ما لهم شراب غير هذا التمر. قال اليزيدي: فلما رأيت ذلك منه قلت له: (ليس مِلاكُ الأمر إلاّ طاعةُ الله والعملُ بها). قال: فقال: هذا كلام لا دَخَل فيه، (ليس ملاكُ الأمر إلاَّ طاعةَ الله والعملَ به)، فنصب. قال اليزيدي: (ليس مِلاكُ الأمر إلا طاعةُ الله والعملُ بها)، ورفعتُ. فقال: ليس هذا لَحْنِي ولا من لَحْنِ قومي. فكتبنا ما سمعنا منه. ... ثم أتينا المُنتَجِعَ فأتينا رجلا يعقل، فقال له خَلف: (ليس الطِيبُ إلا المسكَ)، قال: فرفع. وَلقنَّاه [النصب] وجهدنا به في ذلك فلم ينصب وأبَى إلا الرفعَ. قال [اليزيدي]: فأتينا أبا عمرو فأعلمناه وعنده عيسى بن عمر لم يَبْرحْ، قال: فأخرج عيسى خاتمه من يده ثم قال: لك الخاتَم، بهذا والله فُقْتَ الناس!"(١).

الفرضية: (إن الأعرابي الفصيح مهما بُذل من جهد لأن ينطق بغير لحن قومه، فإنه يأبى ذلك)

المجموعة التجريبية الأولى: (أبو المَهْدي) من الحجاز.

---

(١) الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق، مجالس العلماء، تحقيق: عبدالسلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، ١٣٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص٣. وانظر: القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، ذيل الأمالي ــ وهو ملحق بكتاب الأمالي، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ج٣ ص٣٩. و: السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م)، ج٥ ص٥٢.

المجموعة الضابطة للمجموعة التجريبية الأولى: بنو تميم؛ لأنهم يرفعون خبر (ليس) المقترن بـ (إلا).

المتغير التجريبي الأول: كيف تقول: (لَيْسَ الطِّيبُ إلا المسْكُ).

المتغير التابع الأول: لم يرفع (أبو المهدي) الشاهدَ، واستجاب للمعنى اللغوي للمتغير التجريبي، قائلا: "أتأمراني بالكذب على كَبْرة سِنِّي! فأين الجاديّ؟ ...".

المتغير التجريبي الثاني: (ليس الشرابُ إلا العَسَلُ).

المتغير التابع الثاني: لم يرفع (أبو المهدي)، واستجاب مرة أخرى للمعنى اللغوي للمتغير التجريبي، قائلا: "فما يصنع سودانُ هَجَر؟ ما لهم شراب غير هذا التمر".

المتغير التجريبي الثالث: (ليس مِلاكُ الأمر إلاّ طاعةُ الله والعملُ بها).

المتغير التابع الثالث: نصب (أبو المهدي) الشاهدَ، بقوله: (ليس مِلاكُ الأمر إلاَّ طاعةَ الله والعملَ به).

المتغير التجريبي الرابع (مكرر): (ليس مِلاكُ الأمر إلاّ طاعةُ الله والعملُ بها).

المتغير التابع الرابع: "ليس هذا لَحْنِي ولا من لَحْنَ قومي".

الاستنتاج: صحة الفرض في التجربة.

المجموعة التجريبية الثانية: (أبو المُنتَجع) من قبيلة تميم.

المجموعة الضابطة للمجموعة التجريبية الثانية: أهل الحجاز؛ لأنهم ينصبون خبر (ليس) المقترن بـ (إلا).

المتغير التجريبي على عينة التجربة الثانية: (ليس الطّيب إلا المسكَ)، مع

تكراره عدة مرات.

المتغير التابع: (ليس الطّيب إلا المسكُ)، وقد تكرر عدة مرات. وذلك في قوله: "فَلقّناه النصب وجهدنا به فلم ينصب وأبى إلاّ الرفع".

الاستنتاج: صحة الفرض في التجربة.

ثانيا: تجربة الخليل بن أحمد

رصد الباحث تجربتين للخليل بن أحمد تُظهر محاولته إجراء تجربة علمية، وقد نقلها إلينا تلميذه سيبويه في نصين، استخرج الباحث من النص الأول فرضيتين، ومن الثاني فرضية واحدة.

النص الأول:

قال سيبويه: "قال الخليل يومًا وسأل أصحابه: كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بـ (الكاف) التي في (لك) و(الكاف) التي في (مالك)، و(الباء) التي في (ضرب)؟ فقيل له: نقول: باء، كاف. فقال: إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف. وقال: أقول: كَهْ وبَهْ. فقلنا: لِمَ ألحقت الهاء، فقال: رأيتهم قالوا: عهْ فألحقوا هاء حتى صيروها فيستطاع الكلام بها، لأنَّه لا يلفظ بحرف. فإن وصلت قلت: كَ وبَ فاعلم يا فتى، كما قالوا: عِ يا فتى. فهذه طريقة كلِّ حرفٍ كان متحركًا، وقد يجوز أن تكون الألف هنا بمنزلة الهاء، لقربها منها وشبهها بها، فتقول: (بَا) و(كَا)، كما تقول: (أنَا)"[(١)].

(١) سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، (بيروت: دار الجيل، ط١)، ج٣ ص٣٢٠.

الفرضية الأولى للنص الأول: (إمكانية النطق بالحرف المتحرك منفردًا عند عدم وصله بالكلام بإلحاق هاء ساكنة به)

المجموعة التجريبية: الخليل بن أحمد وأصحابه ينطقون بصوتين متحركين منفردين هما (ك) و(ب).

المجموعة الضابطة: نُطْق العرب بلفظة (عهْ).

المتغير التجريبي: إلحاق هاء ساكنة بصوت الباء المتحركة المفردة، وبصوت الكاف المتحركة المفردة.

المتغير التابع: أمكن النطق بصوت الباء والكاف منفردين من غير وصلهما بالكلام، على النحو الآتي: (بَهْ) و(كَهْ).

الاستنتاج: صحة الفرض في التجربة.

الفرضية الثانية للنص الأول: (إمكانية النطق بالحرف المتحرك منفردًا عند وصله بالكلام).

المجموعة التجريبية: الخليل بن أحمد ينطق بصوتين متحركين موصولين بالكلام، هما (ك) و(ب).

المجموعة الضابطة: (عِ) يا فتى، أي: كُن واعيًا يافتى.

المتغير التجريبي: تحريك صوت الباء والكاف عند وصلهما بالكلام، ومن التمثيل على هذا الوصل إنابة الحرف عن جملة، كما في (عِ)، بمعنى كن واعيًا.

المتغير التابع: أمكن النطق بصوت الباء (بَ) والكاف (كَ) عندما وصلهما الخليل بن أحمد بالكلام في قوله: (كَ وبَ فاعلم يا فتى)، فالكاف

يمكن تقديرها بأنها حرف جر حذف اسمه، وتقديره: (كَذلك فاعلم يا فتى)، وهذا الصورة من الحذف معمول بها عند العرب، فقد ذكر سيبويه أنه سمع مِن العرب مَن يقول: (ألا تَا، بلى فَا)، وتقدير المحذوف: ألا تَفعل وبلى فَافعل(١).

الاستنتاج: صحة الفرض في التجربة.

النص الثاني:

نقل سيبويه بعد الحوار السابق حوارًا آخر قال فيه الخليل بن أحمد لأصحابه: "كيف تلفظون بالحرف الساكن نحو: ياء (غلامي) وباء (اضرب) ودال (قد)؟ فأجابوا بنحو مما أجابوا في المرّة الأولى، فقال: أقول: إبْ وإي وإدْ، فألحق ألفا موصولة. قال: كذاك أراهم صنعوا بالساكن، ألا تراهم قالوا: ابن واسم حيث أسكنوا الباء والسين، وأنت لا تستطيع أن تَكَلَّمَ بساكن في أول اسم، كما لا تصل إلى اللفظ بهذه السواكن، فألحقتَ ألفاً حتى وصلت اللفظ بها، فكذلك تلحق هذه الألفات حتى تصل إلى اللفظ بها كما ألحقت المسَكَّن الأول في الاسم"(٢).

الفرضية: (إمكانية الابتداء بالحرف الساكن منفردًا _ أي: في حال عدم اتصال الحرف الساكن بحرف متحرك قبله _ بعد إدخال الألف عليه)

المجموعة التجريبية: الخليل بن أحمد وأصحابه ينطقون بأصوات ساكنة منفردة، وهي: الياء والباء والدال.

المجموعة الضابطة: الباء والسين في (ابْن) و(اسْم).

---

(١) انظر: سيبويه، الكتاب، ج٣ ص٣٢١.

(٢) سيبويه، الكتاب، ج٣ ص٣٢١.

المتغير التجريبي: إدخال الألف(اِ)، والسكون(ـْـ) على المجموعة التجريبية.

المتغير التابع: تمكن الخليل بن أحمد من النطق بالحروف الساكنة منفردة على النحو الآتي: (إبْ) و(إيْ) و(إدْ) من غير اتصالها ببقية حروف الكلمة.

الاستنتاج: صحة الفرض في التجربة.

المبحث الثاني: التجارب اللغوية عند ابن جني

لم يكن ابن جني يجري تجاربه اللغوية بغير هدف، بل كان كما قال في تجربته على أحد الأعراب الفصحاء: "وكان غرضي من ذلك أن أعلم ما يقوله"(١)، ومع شغفه بإجراء هذه التجارب عليهم إلا أن مشاغل الحياة كانت تحول دون ذلك، وهذا جلي في قوله: "وهذا وضع يحتاج إلى إصغاء إليه وإرعاء عليه، والوقت لتلاحمه وتقارب أجزائه مانع منه، ويعين الله فيما يليه على المعتقد المنوي فيه بقدرته"(٢)، كما أن ابن جني عندما كان يجري تجاربه للتأكد من صحة فرض معين كان يخرج بنتائج إضافية غير التي كان يسعى للتأكد منها في تجاربه- كما سيأتي في تجربته على أبي عبدالله الشجري في كلمة (محرنجمات)، كما لم تغب عن ابن جني مسألة تدوين تجاربه اللغوية، إلا أن

(١) الحموي، ياقوت، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣م)، ج٤ ص١٥٩٧.

(٢) الحموي، معجم الأدباء، ج٤ ص١٥٩٧.

المؤسف أنه لم يدونها كلها، فنجد في ثنايا كلامه ما يشير إلى طول العهد بين تجاربه وبين تدوينه لها، قال: "وسألت غلامًا من آل المهيّا فصيحًا عن لفظة من كلامه لا يحضرني الآن، ذكرها فقلت: أكذا أم كذا؟ فقال: كذا بالنصب؛ لأنه أخف. فجنح إلى الخفة، وعجبت من هذا مع ذكره النصب بهذا اللفظ، وأظنه استعمل هذه اللفظة لأنها مذكورة عندهم في الإنشاد الذي يقال له النَصْب مما يتغنّى به الركبان"(١)، ولو أنه دونها كلها لانتفع الدرس اللغوي نفعًا أكبر.

بالنظر إلى تجارب ابن جني، فإنه يمكن تقسيمها إلى نوعين، الأول: لتجارب أجراها على نفسه، والثاني: لتجارب أجراها على غيره أو نقلها عن العلماء ليدعم رأيه.

النوع الأول: التجارب التي أجراها على نفسه

وقف الباحث على ستة نصوص لتجارب أجراها ابن جني على نفسه، احتوى بعضها على أكثر من تجربة لأكثر من فرضية، الأمر الذي رأى الباحث معه تحرير كل فرضية بمعزل عن غيرها؛ كي يتضح جهد ابن جني في تجاربه التي أجراها، واستنتاجاته من هذه التجارب، وكيف أكد فرضياته. وليبين الباحث كل ذلك: ذكر النص أولا، ثم حرر التجربة بعده مباشرة، وذلك على الترتيب الآتي: (الفرضية، المجموعة التجريبية، المجموعة الضابطة، المتغير التجريبي، المتغير التابع، الاستنتاج).

---

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ١٩٩٩م)، ج١ ص٧٩.

النص الأول:

تتبع ابن جني خطى الخليل في النطق بالصوت اللغوي منفردًا، ووضح الطريقة العملية التي يمكن بها إظهار صوت الحروف في النطق فقال: "وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكنًا لا متحركًا؛ لأن الحركة تُقلق الحرف عن موضعه ومستقره، وتجتذبه إلى جهة الحرف الذي هي بعضه، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله؛ لأن الساكن لا يمكن الابتداء به، فتقول: اِكْ، اِقْ، اِجْ، وكذلك سائر الحروف إلا أن بعض الحروف أشد حصرًا للصوت من بعضها، ألا تراك تقول في الدال والطاء واللام: اِدْ اِطْ اِلْ، فلا تجد للصوت منفذًا هناك، ثم تقول: اِسْ، اِصْ، اِزْ، اِذْ، اِثْ، اِفْ، فتجد الصوت يتبع الحرف.

وإنما يعرض هذا الصويت التابع لهذه الحروف ونحوها ما وقفت عليها؛ لأنك لا تنوي الأخذ في حرف غيرها، فيتمكن الصويت فيظهر، فأما إذا وصلت هذه الحروف ونحوها ... فإنك لا تحس معها شيئًا من الصوت كما تجده معها إذا وقفت عليها، وذلك نحو: يَصْبرُ ويَسْلَمُ ويَزْلَقُ ويَثْرَدُ ويَفْتَحُ، وإنما كان ذلك كذلك من قبل أن أخذك في حرف آخر وتأهبك له، قد حالا بينك وبين التلبث والاستراحة التي يوجد معها ذلك الصويت"[1].

الفرضية الأولى للنص الأول: (من الممكن إظهار كل صوت في الكلمة من غير اختلاطه بصوت غيره من الأصوات فيها).

المجموعة التجريبية: القائم بالتجربة نفسه ينطق بصوت الكاف والقاف

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق: أحمد فريد، (القاهرة: المكتبة التوفيقية)، ص١٩-٢٠.

والجيم.

المجموعة الضابطة: لم تُذكر في النص للعلم بها، ويمكن التمثيل عليها بصوت إناخة البعير (إخْ)، أي: لِيَبْرُك، وهي لفظة لصوت مكون من حرف واحد ساكن هو (خْ) يُدخل عليه الألف عند النطق والكتابة غالبًا، والسبب الذي جعل الباحث يذهب إلى أن مِن صور الأصوات المستخدمة لإناخة البعير هو صوت الخاء فقط من غير ألف، وأن الألف ليست ملازمة دائمة له، هو ما توصل إليه الأستاذ الدكتور محمد حسن حسن جبل من (المعاني اللغوية للحروف الألف بائية في اللغة العربية) وفق معايير علمية صرفة ذكرها في معجمه[1]، فقال في معنى صوت الخاء أنها: "تُعبّر عن تخلخل ونحوه في أثناء غِلظ"[2]، وهذا المعنى الذي ذكره يمكن ملاحظته عند إناخة البعير، ففي وقوف البعير صلابة وثبات، وفي إناخته خلخلة للصلابة وللثبات، فضلا عن ذلك أننا نجد من صور إناخة البعير في البادية في العصر الحديث استعمال صوت الخاء فقط، كما هو الحال أحيانًا في البادية المحيطة بمدينة تبوك.

المتغير التجريبي: إدخال الألف (اِ)، والسكون (ـْـ) على ألفاظ المجموعة التجريبية، والسبب في اختيار هذا المتغير التجريبي كما قال ابن جني هو أن "الحركة تُقلق الحرف عن موضعه ومستقره وتجتذبه إلى جهة

(١) جبل، محمد حسن حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم: مؤصّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط١، ٢٠١٠م)، ج١ ص٢٥.

(٢) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم، ج١ ص٢٨.

الحرف الذي هي بعضه"، ولكي لا يتأثر الحرف بغيره من الحروف، أدخلَ هذين المتغيرين.

المتغير التابع: تمكن ابن جني من النطق بالحروف الساكنة منفردة في كل من (اِكْ) و(اِقْ) و(اِجْ) من غير اتصالها ببقية حروف الكلمة.

الاستنتاج: صحة الفرض في التجربة.

الفرضية الثانية للنص الأول: (إن امتداد الصوت لا يظهر لبعض الأصوات في حال الوقف)

المجموعة التجريبية: القائم بالتجربة نفسه ينطق بصوت الدال والطاء واللام.

المجموعة الضابطة: النطق بأصوات ساكنة مسبوقة بألِف في حال الوقف، وهي: السين (اِسْ) والصاد (اِصْ) والزاي (اِزْ) والذال (اِذْ) والثاء (اِثْ) والفاء (اِفْ).

المتغير التجريبي: إدخال الألف (اِ)، والسكون (ـْـ) على ألفاظ المجموعة التجريبية في حال الوقف، وستكون صورة النطق معهما كالآتي: (إدْ) (إطْ) (إلْ).

المتغير التابع: عدم ظهور امتداد لصوت الدال والطاء واللام في حال الوقف.

الاستنتاج: لا يظهر امتداد لأصوات الدال والطاء واللام في حال الوقف.

الفرضية الثالثة للنص الأول: (إن امتداد الصوت يظهر لبعض الأصوات في حال الوقف).

المجموعة التجريبية: القائم بالتجربة نفسه ينطق بصوت السين والصاد والزاي والذال والثاء والفاء.

المجموعة الضابطة: النطق بأصوات ساكنة مسبوقة بألِف في حال الوقف، وهي: صوت الدال (إدْ) والطاء (إطْ) واللام (إلْ).

المتغير التجريبي: إدخال الألف (اِ)، والسكون (ـْـ) على ألفاظ المجموعة التجريبية في حال الوقف. وستكون صورة النطق معهما كالآتي: السين (اِسْ) والصاد (اِصْ) والزاي (اِزْ) والذال (اِذْ) والثاء (اِثْ) والفاء (اِفْ).

المتغير التابع: ظهور امتداد لصوت السين والصاد والزاي والذال والثاء والفاء.

الاستنتاج:

١) يظهر لأصوات السين والصاد والزاي والذال والثاء والفاء امتداد في حال الوقف.

٢) بعض أصوات اللغة العربية أشد حصرًا للصوت من بعضها وهي أصوات الدال والطاء واللام.

٣) لصوت السين والصاد والزاي والذال والثاء والفاء امتداد صوتي في حال الوقف عليها، مع العلم بأن الباحث لم يجد ذكرًا لهذه النتيجة عند الخليل بن أحمد، وهي نتيجة توصل ابن جني إليها من خلال الملاحظة في أثناء تأديته لتجربته عند محاولة النطق بالصوت.

٤) أشار ابن جني في موضع آخر من كتابه إلى نتيجة ثالثة للتجربة نفسها قال: "فقد علمت بذلك أن لا سبيل إلى النطق بالحرف الواحد مجرّدًا من

غيره، ساكناً كان أو متحركاً"[1].

٥) "الحركة تُقلق الحرف عن موضعه ومستقره وتجتذبه إلى جهة الحرف الذي هي بعضه".

نجد مما سبق أن ابن جني طبق مراحل للمنهج التجريبي المعتمدة في العلوم المادية، وهي: ملاحظة الظاهرة ثم الفروض ثم التجريب، ثم الملاحظة، ثم تدوين النتائج.

النص الثاني:

قال ابن جني: "ومما يدل على أن [الحرف] الساكن إذا أدرج ليست له حال الموقوف عليه أنك قد تجمع في الوقف بين الساكنين نحو: (بكْرْ) و(عمْرْو)، فلو كانت حال سكون كاف (بكْر) كحال سكون رائه لما جاز أن تجمع بينهما من حيث كان الوقف للسكون على الكاف كحاله لو لم يكن بعده شيء، فكان يلزمك حينئذ أن تبتدئ بالراء ساكنة، والابتداء بالساكن ليس في هذه اللغة العربية، لا بل دل ذلك على أن كاف (بكْر) لم تتمكن في السكون تمكّن ما يوقف عليه ولا يتطاول إلى ما وراءه، ويزيد في بيان ذلك أنك تقول في الوقف النّفْسْ فتجد السين أتمّ صوتاً من الفاء فإن قلبت فقلت النَّسْفْ وجدت الفاء أتمّ صوتاً وليس هنا أمر يصرف هذا إليه ولا يجوز حمله عليه إلا زيادة الصوت عند الوقوف على الحرف البَتّة وهذا برهان ملحق بالهندسي في الوضوح والبيان"[2]، ويُفهم من كلام ابن جني أن الحرف الساكن تختلف

---

(١) ابن جني، الخصائص، ج١ ص٢٩.

(٢) ابن جني، الخصائص، ج١ ص٦١.

خصائصه الصوتية باختلاف موقعه في الكلمة، فحاله ساكنًا وسط الكلمة يختلف عن حاله ساكنًا في آخرها عند الوقوف عليه.

الفرضية: (إن الخصائص الصوتية للحرف الساكن تختلف باختلاف موقعه في الكلمة)

المجموعة التجريبية: القائم بالتجربة نفسه ينطق بصوت (السين) و(الفاء).

المجموعة الضابطة: كلمتا (النفْسْ) و(النسْفْ) بالتناوب العكسي مع كل متغير تجريبي لملاحظة الفرق.

المتغير التجريبي: إدخال السكون (ـْـ)، بالإضافة إلى تغيير موضع حرف (السين) و(الفاء) في الكلمة الواحدة تقديما وتأخيرًا فيكون عينًا تارة ولامًا تارة أخرى.

المتغير التابع: تغير صوت (السين) و(الفاء) بعد إدخال المتغير التجريبي عليهما.

الاستنتاج:

١) صحة فرضية ابن جني.

٢) صوت الحرف يزيد ويقوى عند الوقوف عليه، وقد دوّن ابن جني ملاحظته بعد إجرائه للتجربة، قائلا: "تقول في الوقف: النفْسْ، فتجد السين أتمّ صوتاً من الفاء، فإن قلبت فقلت: النَّسْفْ، وجدت الفاء أتمّ صوتاً"، وختم قوله هذا بعبارة تؤكد سلامة ما توصل إليه من نتائج يقول فيها: "وهذا برهان ملحق بالهندسي في الوضوح والبيان" وكأنه يريد القول: إن التجارب

اللغوية تعطي نتائج ملموسة كما هي حال التجارب في العلوم المادية كعلم الهندسة.

النص الثالث:

قال ابن جني: "أما إهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصورة أو المستعملة فأكثره متروك للاستثقال وبقيته ملحقة به ومقفاة على إثره فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو سص وطس وظث وثظ وضش وشض وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه والمشقة على النفس لتكلفه وكذلك نحو قد وجق وكق وقك وكج وجك"[(١)].

الفرضية: (تقارب مخارج حروف الكلمة _ في بعض تقليبات الجذور _ يثقل النطق بها فيُهمل استعمالها في بعض الأحيان)

المجموعة التجريبية: كلمات مهملة، ذات حروف متقاربة المخارج، هي: سص وطس وظث وثظ وضش وشض وجق وكق وقك وكج وجك.

المجموعة الضابطة: لم يذكر ابن جني نماذج لكلمات حروفها متباعدة المخارج للعلم بها، نحو: أب وعم وقد.

المتغير التجريبي: تركيب السين مع الصاد في (سص)، والطاء مع السين في (طس)، والظاء مع الثاء في (ظث)، والثاء مع الظاء في (ثظ)، والضاد مع الشين في (ضش)، والشين مع الضاد في (شض)، والجيم مع القاف في (جق)، والكاف مع القاف في (كق)، والقاف مع الكاف في (قك)، والكاف مع الجيم في (كج)، والجيم مع الكاف في (جك).

---

(١) ابن جني، الخصائص، ج١ ص٥٥.

المتغير التابع: تمكن النطق بثقل لكل المتغيرات التجريبية.

الاستنتاج: صحة الفرض لظاهرة إهمال بعض تقليبات الجذور التي كانت حروفها متقاربة المخارج لثقل النطق بها.

النص الرابع:

قال ابن جني: "حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف، أعنى حروف الفم، فإن جمع بين اثنين منها قدّم الأقوى على الأضعف، نحو: أهلٍ وأحدٍ وأخٍ وعهدٍ وعهْرٍ وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقْوى منهما نحو: أُرْلٍ ووتد ووطد يدل على أن الراء أقوى من اللام أن القطع عليها أقوى من القطع على اللام وكأن ضعف اللام إنما أتاها لما تُشْرَبه من الغُنَّة عند الوقوف عليها ولذلك لا تكاد تعتاص اللام، وقد ترى إلى كثرة الُلثغة في الراء في الكلام وكذلك الطاء والتاء هما أقوى من الدال وذاك لأن جَرْس الصوت بالتاء والطاء عند الوقوف عليهما أقوى منه وأظهر عند الوقوف على الدال. وأنا أُرى أنهم إنما يقدّمون الأقوى من المتقاربين من قِبَل أن جمع المتقاربين يثقل على النفس فلما اعتزموا النطق بهما قدّموا أقواهما لأمرين: أحدهما أن رتبة الأقوى أبدا أسبق وأعلى، والآخر أنهم إنما يقدّمون الأثقل ويؤخّرون الأخفّ من قِبَل أن المتكلم في أوّل نطقه أقوى نَفسا وأظهر نشاطاً فقدّم أثقل الحرفين وهو على أجمل الحالين"(١).

الفرضية: (إذا ورد حرفان في كلمة ما وتقارب مخرجهما ثقل نطقهما وقُدِّم أقواهما على أضعفهما).

---

(١) ابن جني، الخصائص، ج١ ص٥٥_٥٦.

المجموعة التجريبية: حروف متقاربة المخارج، هي: الهمزة والهاء والحاء والخاء والعين والراء واللام والتاء والدال والطاء.

المجموعة الضابطة: لم يذكر ابن جني نماذج لها.

المتغير التجريبي: تركيب حروف متقاربة المخارج في كلمات ثم النطق بها، وهي: الهمزة مع الهاء في (أهل) والهمزة مع الحاء في (أحد) والهمزة مع الخاء في (أخ) والعين مع الهاء في (عهد) و(عهْر)، الراء مع اللام في (أرْل)، والتاء مع الدال في (وتد)، مع الدال في (وطد).

المتغير التابع: تمكن النطق بثقل لكل المتغيرات التجريبية.

الاستنتاج:

١) صحة الفرض لظاهرة تقديم أقوى الحرفين المتقاربين مخرجا على الآخر في جميع كلمات المجموعة التجريبية.

٢) تناسب النطق بالصوت الأقوى مع قوة دفع الهواء من الرئتين عند بداية النطق.

النص الخامس:

قال ابن جني: إن "إدغام الحرف في الحرف أخفّ عليهم من إظهار الحرفين ألا ترى أن اللسان ينبو عنهما معا نَبْوَة واحدة نحو قولك: (شدّ) و(قطَّع) و(سلّم)، ولذلك ما حُققّت الهمزتان إذا كانتا عينين، نحو: (سآل) و(رآس)، ولم تصِحَّا في الكلمة الواحدة غير عينين، ألا ترى إلى قولهم: (آمن) و(آدم) و(جاءٍ) و(شاءٍ) ونحو ذلك. فلأجل هذا ما قال يونس في الإضافة إلى (مُثَنَّى): (مُثَنَّوِيّ)، فأجرى المدغم مجرى الحرف الواحد نحو نون (مَثْنًى) إذا

قلت: (مَثْنَوِيّ)، ... ولذلك كان الحرف المشدّد إذا وقع رويّا في الشعر المقيّد خُفِّف كما يسكَّن المتحرك إذا وقع روِيّا فيه"(١).

الفرضية: (العرب تستثقل في نطقها الأصوات المتماثلة فتلجأ إلى إدغامها طلبًا للخفة).

المجموعة التجريبية: القائم بالتجربة نفسه ينطق بـ (شدّ) و(قطّع) و(سلّم).

المجموعة الضابطة: لم يذكر ابن جني نماذج لكلمات حروفها متماثلة لأنها معلومة باستعمالها في اللغة، نحو: أدد وعدد.

المتغير التجريبي: إدخال حرف مماثل للحرف الموجود في الكلمة الواحدة، وهو الدال مع الدال في (شد) فتصبح (شدد) من غير إدغام و(شدّ) بالإدغام، والطاء مع الطاء في (قطع) فتصبح (قططع) من غير إدغام و(قطّع) بالإدغام، واللام مع اللام في (سلم) فتصبح (سللم) من غير إدغام و(سلّم) بالإدغام.

المتغير التابع: أمكن النطق بها جميعا، والنطق أثقل إن كانت غير مدغمة، وأخف إن كانت مدغمة.

الاستنتاج:

١) صحة الفرض لظاهرة إدغام المثلين.

٢) إدغام الحرف في الحرف أخفّ في النطق من إظهارهما.

---

(١) ابن جني، الخصائص، ج٢ ص٢٢٩_٢٣٠.

النص السادس:

قال ابن جني: "فلمَّا كان في إدغامهم الحرف في الحرف ما أريناه من استخفافهم إياه صار تقريبهم الحرف من الحرف ضربًا من التطاول إلى الإدغام. وإن لم يصلوا إلى ذلك فقد حاولوه واشرَأَبّوا نحوَه... فإن كان الحرفان جميعًا من مخرج واحد فسلكت هذه الطريق فليس إلا أن تقلب أحدهما إلى لفظ الآخر البتّة ثم تدّغم لا غير. وذلك نحو: اطَّعن القوم، أبدلت تاء اطتعن طاء البتة، ثم أدغمتها فيها لا غير. وذلك أن الحروف إذا كانت من مخرج واحد ضاقت مساحتها أن تدنَى بالتقريب منها؛ لأنها إذا كانت معها من مخرجها فهي الغاية في قربها فإن زدت على ذلك شيئا فإنما هو أن تخلص الحرف إلى لفظ أخيه البتّة فتدغمه فيه لا محالة، فهذا وجه التقريب مع إيثارهم الإبعاد"(١).

الفرضية: (إن العرب تستثقل في نطقها الأصوات غير المتماثلة المتقاربة المخرج فتلجأ إلى إدغامها بعد قلب أحدهما إلى صورة الآخر)

المجموعة التجريبية: القائم بالتجربة نفسه ينطق بـ (اطّعن) و(اطتعن).

المجموعة الضابطة: لم يذكر ابن جني نماذج لها.

المتغير التجريبي: أدخل حرف (ت) على (اطعن) لتصبح (اطتعن).

المتغير التابع: أبدلت تاء (اطتعن) طاء فأصبحت (اططعن)، وهي ثقيلة نسبيا في نطقها، فأدغمت الطاء مع نظيرتها فأصبحت (اطَّعن)، وهي هنا أخف نطقًا من (اططعن).

---

(١) ابن جني، الخصائص، ج٢ ص٢٣١_٢٣٢.

الاستنتاج:

١) إن الحروف إذا كانت من مخرج واحد صعب النطق بها.

٢) يقلب أحد الحرفين المتقاربين مخرجا إلى صورة الآخر ثم يدغم فيه.

٣) إدغام المثلين أخف في النطق من حال عدم إدغامهما.

النوع الثاني: تجارب أجراها على غيره أو نقلها عن العلماء ليدعم رأيه

إن تجارب ابن جني على غيره كثيرة، وقد كان يختار عينة دراسته وفق ضوابط محددة، منها: أن يكون عربيًا فصيحًا، لا مدعيا لها، وصرح بأن معيار الفصاحة هو المعيار الذي يحتكم إليه سواء كانت العينة المختارة من أهل البادية أو الحضر قال: "فينبغي أن يُستوحش من الأخذ عن كل أحد إلا أن تقوى لغته وتَشِيع فصاحته"، و"أن يُقبل ممن شُهِرت فصاحته ما يورده ويحمل أمره على ما عرف من حاله لا على ما عسى أن يكون من غيره، وذلك كقبول القاضي شهادة من ظهرت عدالته"، ومع أنه يدعو إلى الأخذ عمن ظهرت عليه مظاهر الفصاحة فهو يدعو أيضًا إلى التأكد من فصاحته؛ لأن بعض الأعراب اتخذوا الفصاحة مهنة للتكسب، فهي إذا فصاحة مصطنعة لا تتوافق مع عينة الدراسة، لذلك نبه إلى هذا الأمر، ووضح طريقته في كشفهم قائلا: "فإياك أن تخلد إلى كل ما تسمعه، بل تأمل حال مورده، وكيف موقعه من الفصاحة، فاحكم عليه وله"، ومثل على ذلك بمثال ليبين دقته في اختيار العينة بعد فحصها، قال: "وقد كان طرأ علينا أحدُ من يَدَّعي الفصاحة البدوية، ويتباعد عن الضَّعْفَة الحَضَرِيَّة، فتلقينا أكثر كلامه بالقبول له، وميزناه تمييزًا حَسُنَ في

النفوسِ موقعه، إلى أن أنشدني يومًا شعرًا لنفسه يقول في بعض قوافيه: أَشْئَؤُها وأَدْأَؤُها، بوزن أشععها وأدععها، فجمع بين الهمزتين كما ترى، واستأنف من ذلك ما لا أصل له، ولا قياس يسوغه. نعم، وأبدل إلى الهمز حرفًا لا حَظَّ في الهمز له، بضد ما يجب؛ لأنه لو التقت همزتان عن وجوبِ صنعةٍ لَلَزِمَ تغييرُ إحداهما، فكيف أن يقلب إلى الهمز قلبًا ساذجًا عن غير صنعة ما لا حَظَّ له في الهمز، ثم يحقق الهمزتين جميعًا! هذا ما لا يبيحه قياس، ولا ورد بمثله سماع ... الناطق بذلك بصورة مَن جرَّ الفاعل أو رفع المضاف إليه في أنه لا أصل يسوِّغه ولا قياس يحتمله ولا سماع وَرَد به . وما كانت هذه سبيله وجب اطِّراحه والتوقّف عن لغة مَن أورده، وأنشدني أيضا شعرا لنفسه يقول فيه : كأنّ ناي...فقوِى في نفسي بذلك بُعدُه عن الفصاحة وضعفُه عن القياس الذي ركِبه"[1].

وجد الباحث عند ابن جني تجارب متعددة تعود إلى فرضية واحدة، فرأى أن يذكر الفرضية أولا ثم يذكر بعدها نصوصها عند ابن جني ثم يحرر كل نص بعد ذكره مباشرة، وفيما يأتي نماذج لتجارب قام بها ابن جني، وتجارب نقلها عن العلماء، استأنس بها ليدعم فرضيته.

الفرضية الأولى: (الأعرابي الفصيح تَحُول سليقته من أن يلحن في كلامه، لأن السليقة تضع الكلمة في هيئة معينة وموضع معين يناسب معناها في الجملة).

أجرى ابن جني مجموعة من التجارب تدعم هذا الفرض، موزعة على

(١) ابن جني، الخصائص، ج٢ ص٧-٨-٩.

عدة نصوص، وهي كالآتي:

النص الأول للفرضية الأولى:

قال ابن جني: "سألت الشَّجرِيّ[(١)] يومًا فقلت: يا أبا عبد الله كيف تقول: ضربت أخاك؟ فقال: كذاك. فقلت: أفتقول: ضربت أخوك؟ فقال: لا أقول أخوك أبدًا. قلت: فكيف تقول: ضربني أخوك؟ فقال: كذاك. فقلت: ألستَ زعمت أنك لا تقول أخوك أبدًا؟ فقال: أيشٍ ذا؟ اختلفت جهتا الكلام. [قال ابن جني:] فهل هذا في معناه إلا كقولنا نحن: صار المفعول فاعلا، وإن لم يكن بهذا اللفظ البتَّة فإنه هو لا محالة "[(٢)]. وقد كرر ابن جني هذه التجربة في موضع آخر من كتابه، وعلّق عليها بقوله: "فهل هذا إلا أدلّ شيء على تأمّلهم مواقع الكلام وإعطائهم إيّاه في كل موضع حقَّه وحِصَته من الإعراب عن مِيزة وعلى بصيرة وأنه ليس استرسالا ولا ترجيمًا"[(٣)].

المجموعة التجريبية: أعرابي اسمه: "أبو عبدالله الشجري".

المجموعة الضابطة: لم تُذكر في النص، ولعلها اللغة الشائعة عند غيره من العرب الفصحاء، ويقويه أن ابن جني يُقَوِّم أقواله (أي: يُقَوِّم المتغير التابع) بها.

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن العسّاف العُقَيليّ الجُوثي التميمي، وهو أحد الأعراب الفصحاء ، وهو من العينة التي اختارها ابن جني ليجري التجارب اللغوية عليه. انظر: ابن جني، الخصائص، ج١ ص٧٧.

(٢) ابن جني، الخصائص، ج١ ص٢٥١.

(٣) ابن جني، الخصائص، ج١ ص٧٧.

المتغير التجريبي الأول: (ضربت أخاك)، وهي العبارة التي طُلب من الأعرابي نطقها.

المتغير التابع الأول: (ضربت أخاك)، وهي العبارة التي نطق بها الأعرابي، فاستجاب إلى النطق بهذا المتغير التجريبي.

المتغير التجريبي الثاني: (ضربت أخوك)، وهي العبارة التي طُلب من الأعرابي نطقها.

المتغير التابع الثاني: (لا أقول أخوك أبدًا)، وهنا رفض الأعرابي نطق العبارة، أي: رفض النطق بالمتغير التجرييبي.

المتغير التجريبي الثالث: (ضربني أخوك)، وهي العبارة التي طُلب من الأعرابي نطقها.

المتغير التابع الثالث: (ضربني أخوك)، وهي العبارة التي نطق بها الأعرابي، فاستجاب إلى النطق بهذا المتغير التجريبي.

المتغير التجريبي الرابع: (ألستَ زعمت أنك لا تقول أخوك أبدًا؟)، وهو سؤال من القائم بالتجربة.

المتغير التابع الرابع: (أيش ذا؟ اختلفت جهتا الكلام)، وهو جواب المقام عليه التجربة، وهو لم يستجب إلى النطق بالمتغير التجريبي.

الاستنتاج: صحة الفرضية التي ذكرها ابن جني لهذه التجربة، فالأعرابي يتأمل مواقع الكلام ويضع الكلمة المناسبة في مكانها الصحيح، وأن الأمر ليس نطقًا عفويًا، فقول الأعرابي: (اختلفت جهتا الكلام) هو كقولنا نحن: (هو الآن فاعل، وكان في الأول مفعولاً)، وهذا دليل على قيام معاني هذا الأمر في نفس الأعرابي وإن لم يقله بهذه المصطلحات.

النص الثاني للفرضية الأولى:

"قال ابن جني: وسألت الشجري صاحبنا هذا الذي قد مضى ذكره قلت له: كيف يا أبا عبد الله تقول: اليوم كان زيدٌ قائماً، فقال: كذلك، فقلت: فكيف تقول: اليوم إن زيداً قائمٌ، فأباها ألبتة، وذلك أن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها، لأنها إنما تأتي أبداً مستقبلة، قاطعةً لما قبلها عما بعدها، وما بعدها عما قبلها"(١).

المجموعة التجريبية: أعرابي اسمه: "أبو عبدالله الشجري".

المجموعة الضابطة: لم تُذكر في النص، ولعلها اللغة الشائعة عند غيره من العرب الفصحاء، ويقويه أن ابن جني يُقَوِّم أقواله (أي: يُقَوِّم المتغير التابع) بها.

المتغير التجريبي الأول: (اليوم كان زيد قائماً)، وهي العبارة التي طُلب من الأعرابي نطقها.

المتغير التابع الأول: (اليوم كان زيد قائماً)، وهي العبارة التي نطق بها الأعرابي، فاستجاب إلى النطق بهذا المتغير التجريبي.

المتغير التجريبي الثاني: (اليوم إن زيداً قائم)، وهي العبارة التي طُلب من الأعرابي نطقها.

المتغير التابع الثاني: رفض الأعرابي نطق العبارة، أي: رفض النطق بالمتغير التجريبي.

الاستنتاج: صحة الفرضية التي ذكرها ابن جني لهذه التجربة، وعلل عدم مطاوعته في اللحن، لأن (إنّ) تعمل فيما بعدها، ولا تعمل فيما قبلها، وهي فاصلة لما بعدها عما قبلها في الإعراب.

---

(١) الحموي، معجم الأدباء، ج٤ ص١٥٩٦.

النص الثالث للفرضية الأولى:

"قال ابن جني: فسألته يوماً _ [أي: سأل ابن الشجري] _ يا أبا عبد الله، كيف تجمع محرنجمًا؟، وكان غرضي من ذلك أن أعلم ما يقوله، أيكسر فيقول حراجم، أم يصحّح فيقول محرنجمات؟ فذهب هو مذهبًا غير ذين، فقال: وأيش فرَّقه حتى أجمعه![(1)] ... قلت له: فدع هذا، إذا أنت مررت بإبلٍ محرنجمة وأخرى محرنجمة وأخرى محرنجمة، تقول مررت بإبل ماذا؟ فقال وقد أحس الموضع: يا هذا هكذا أقول: مررت بإبل محرنجماتٍ، وأقام على الصحيح ألبتة استيحاشًا من تكسير ذوات الأربعة لمصاقبتها ذوات الخمسة التي لا سبيل إلى تكسيرها، لاسيما إذا كان فيها زيادة، والزيادة قد تعتد في كثير من المواضع اعتداد الأصول، حتى إنها لتلزم لزومها، نحو: كَوْكَب وحَوْشَب وضَيْوَن وهَزَنْبَرَان ودَوْدَرَى وقَرَنفُل، وهذا موضع يحتاج إلى إصغاء إليه وإرعاء عليه، والوقت لتلاحمه وتقارب أجزائه مانع منه، ويعين الله فيما يليه على المعتقد المنوي فيه بقدرته"[(2)].

المجموعة التجريبية: أعرابي اسمه: "أبو عبدالله الشجري".

المجموعة الضابطة: لم تُذكر في النص، ولعلها اللغة الشائعة عند غيره من العرب الفصحاء، ويقويه أن ابن جني يُقَوِّم أقواله (أي: يُقَوِّم المتغير التابع) بها.

المتغير التجريبي الأول: كيف تجمع (محرنجمًا).

المتغير التابع الأول: (وأيش فرقه حتى أجمعه!).

(١) انظر: ابن جني، الخصائص، ج٢ ص٤٦٨.

(٢) الحموي، معجم الأدباء، ج٤ ص١٥٩٧.

المتغير التجريبي الثاني: (إذا أنت مررت بإبلٍ محرنجمةٍ و أخرى محرنجمة وأخرى محرنجمةٍ تقول مررت بإبل ماذا؟).

المتغير التابع الثاني: (مررت بإبل محرنجاتٍ).

الاستنتاج: صحة الفرضية التي ذكرها ابن جني لهذه التجربة، فقد علّق ابن جني على المتغير التابع الثاني بقوله: "أقام على الصحيح ألبتة استيحاشًا من تكسير ذوات الأربعة لمصاقبتها ذوات الخمسة التي لا سبيل إلى تكسيرها، لاسيما إذا كان فيها زيادة، والزيادة قد تعتد في كثير من المواضع اعتداد الأصول، حتى إنها لتلزم لزومها..."(١).

النص الرابع للفرضية الأولى:

قال ابن جني: "سألت مرة الشجريَّ أبا عبد الله ومعه ابن عمّ له دونه في فصاحته، وكان اسمه غُصْنا فقلت لهما: كيف تحقّران (حمراء)؟ فقالا: حميراء. قلت: فسوداء؟ قالا: سويداء؟ وواليتُ من ذلك أحرفًا وهما يجيئان بالصواب، ثم دَسَسْت في ذلك (عِلْباء) فقال غُصْن: (عليباء)، وتبعه الشجريّ، فلما همَّ بفتح الباء تراجع كالمذعور ثم قال: آه! (عليبى). ورام الضمة في الياء، فكانت تلك عادة له إلا أنهم أشَدّ استنكارًا لزيغ الإعراب منهم لخلاف اللغة لأنّ بعضهم قد ينطق بحضرته بكثير من اللغات فلا ينكرها، إلا أن أهل الجفاء وقوّة الفصاحة يتناكرون خلاف اللغة تناكُرهم زَيْغ الإعراب"(٢).

(١) الحموي، معجم الأدباء، ج٤ ص١٥٩٧.

(٢) ابن جني، الخصائص، ج٢ ص٢٨_٢٩.

المجموعة التجريبية الأولى: أعرابي اسمه: "أبو عبدالله الشجري".

المجموعة الضابطة: لم تُذكر في النص، ولعلها اللغة الشائعة عند غيره من العرب الفصحاء، ويقويه أن ابن جني يُقَوِّم أقواله (أي: يُقَوِّم المتغير التابع) بها.

المتغير التجريبي الأول: كيف تحقر (حمراء)؟.

المتغير التابع الأول: (حميراء).

المتغير التجريبي الثاني: كيف تحقر (سوداء)؟.

المتغير التابع الثاني: (سويداء).

المتغير التجريبي الثالث: كيف تحقر (عِلْباء)؟.

المتغير التابع الثالث: هَمَّ بفتح الباء ثم تراجع كالمذعور ثم قال: آه! (عليبى)، ورام الضمة في الياء.

الاستنتاج: الأعرابي الفصيح تحول سليقته عن اللحن في الكلام.

المجموعة التجريبية الثانية: أعرابي اسمه "غصن" أقل فصاحة من ابن عمه أبي عبدالله الشجري.

المجموعة الضابطة: أعرابي اسمه: "أبو عبدالله الشجري".

المتغير التجريبي الأول: كيف تحقر (حمراء) ؟

المتغير التابع الأول: (حميراء).

المتغير التجريبي الثاني: كيف تحقر (سوداء) ؟

المتغير التابع الثاني: (سويداء).

المتغير التجريبي الثالث: كيف تحقر (عِلْباء) ؟

المتغير التابع الثالث: (علیباء).

الاستنتاج: الأعرابي غير الفصيح قد يلحن في كلامه.

الفرضية الثانية: (الأعرابي الفصيح مهما بُذل من جهد لأن ينطق بغير لحن قومه وإن كان أفصح منه، فإنه يأبى ذلك، لأن تقليده في الصواب كتقليده في الخطأ؛ ولأن السليقة هي الموجهة لنطقه)

النص الأول للفرضية الثانية:

قال ابن جني: "وسألته يومًا [أي: سأل الشجري] فقلت له: كيف تجمع دُكَّانًا؟ فقال: دكاكين. قلت: فَسِرْحانًا؟ قال: سراحين. قلت: فَقُرْطانًا؟ قال: قَرَاطِين؟ قلت: فَعُثْمَان؟ قال: عثمانون. فقلت له: هَلاَّ قلت أيضا: عثامين؟ قال: أَيْشٍ عثامين! أرأيت إنسانًا يتكلّم بما ليس من لغته؟ والله لا أقولها أبدًا"[(١)].

المجموعة التجريبية: أعرابي اسمه: "أبو عبدالله الشجري".

المجموعة الضابطة: لم تُذكر في النص، ولعلها اللغة الشائعة عند غيره من العرب الفصحاء، ويقويه أن ابن جني يُقَوِّم أقواله (أي: يُقَوِّم المتغير التابع) بها.

المتغير التجريبي الأول: كيف تجمع (دُكَّانًا)؟.

المتغير التابع الأول: (دكاكين).

المتغير التجريبي الثاني: كيف تجمع (سرْحانًا)؟.

المتغير التابع الثاني: (سراحين).

المتغير التجريبي الثالث: كيف تجمع (قرْطانا)؟.

المتغير التابع الثالث: (قَرَاطِين).

(١) ابن جني، الخصائص، ج١ ص٢٤٣.

المتغير التجريبي الرابع: كيف تجمع (عثمانا) ؟

المتغير التابع الرابع: (عثمانون).

المتغير التجريبي الخامس: هَلاَّ قلت (عثامين) ؟

المتغير التابع الخامس: (أَيش عثامين! أرأيت إنسانًا يتكلّم بما ليس من لغته؟ والله لا أقولها أبدا)، وهنا رفض الأعرابي هذا المتغير.

الاستنتاج: صحة الفرضية، فقد عقب ابن جني على هذه التجربة بقوله: "والمرويّ عنهم في شغَفهم بلغتهم وتعظِيمهم لها واعتقادِهم أجمل الجميل فيها أكثر من أن يُورَد أو جزْءٌ من أجزاء كثيرة منه"(١).

النص الثاني للفرضية الثانية:

نقل ابن جني هذه التجربة عن غيره، مستشهدًا بها على صحة فرضيته. قال ابن جني: إن أبا حاتم السِجسْتانيّ "قال: قرأ عليّ أعرابيّ بالحَرَم (طِيبى لهم وحُسْنُ مآب)، فقلت: طُوبى. فقال: طِيبى. فأعَدْت فقلت: طوبى. فقال: طيبى. فلما طال عليّ قلت: طو طو. قال: طي طي"(٢).

المجموعة التجريبية: أعرابي اسمه: "أبو مَكْوَزَة"(٣).

(١) ابن جني، الخصائص، ج١ ص٢٤٣.

(٢) ابن جني، الخصائص، ج١ ص٧٧.

(٣) انظر: الزمخشري، جارالله أبا القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل معوض وآخرين، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ج٣ ص٣٥١. والصغاني، الحسن بن محمد الحسن، الشوارد، تحقيق: مصطفى حجازي، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، =

المجموعة الضابطة: لم تُذكر في النص، ولعلها اللغة الشائعة عند غيره من العرب الفصحاء، ويقويه أن ابن جني يُقَوِّم أقواله (أي: يُقَوِّم المتغير التابع) بها.

المتغير التجريبي الأول: (طُوبى).

المتغير التابع الأول: (طِيبى).

المتغير التجريبي الثاني: (طُوبى).

المتغير التابع الثاني: (طِيبى).

المتغير التجريبي الثالث: (طو طو).

المتغير التابع الثالث: (طي طي).

الاستنتاج: صحة الفرضية، فقد عقب ابن جني على هذه التجربة بقوله: "أفلا ترى إلى هذا الأعرابيّ وأنت تعتقده جافيا كَزًّا لا دَمِثًا ولا طَيِّعًا كيف نَبَا طبعه عن ثقل الواو إلى الياء فلم يؤثرّ فيه التلقين ولا ثنى طبعَه عن التماس الخفة هَزّ ولا تمرين وما ظنك به إذا خُلّى مع سَوْمه وتساند إلى سليقّته ونجْره"، وقال في موضع آخر بعد أن ذكر التجربة نفسها: "أفلا ترى إلى استعصام هذا الأعرابيّ بلغته وتركِه متابعة أبي حاتم"(١).

الفرضية الثالثة: (الأعرابي يتعامل مع الكلمات بمعانيها اللغوية، لا الاصطلاحية).

= ص٢٣، والكرماني، رضي الدين أبا عبدالله محمد بن أبي نصر، شواذ القراءات، تحقيق: د. شمران العجلي، (بيروت: مؤسسة البلاغ، ط١، ٢٠٠١م)، ص٢٥٨.

(١) ابن جني، الخصائص، ج١ ص٧٧ ، ج١ ص٣٨٥.

النص الأول للفرضية الثالثة:

قال ابن جني: "سألت الشجرى فقلت:... كيف تحقر الدمكمك ؟ فقال: شخيت"[1].

المجموعة التجريبية: أعرابي اسمه: "أبو عبدالله الشجري".

المجموعة الضابطة: لم تُذكر في النص، ولعلها اللغة الشائعة عند غيره من أهل الاختصاص، ويقويه أن ابن جني يُقَوِّم أقواله (أي: يُقَوِّم المتغير التابع) بها.

المتغير التجريبي: كيف تحقر(الدمكمك) ؟

المتغير التابع: (شخيت)

الاستنتاج: صحة الفرضية، وقد عقب ابن جني مستنتجًا من تجربته قائلا: "فجاء بالمعنى الذي يعرفه هو، ولم يراع مذهب الصناعة"[2] أي لم يفهم مصطلحات النحاة.

النص الثاني للفرضية الثالثة:

"قال ابن جني: فسألته يوماً _ [أي: سأل ابن الشجري] _ يا أبا عبد الله، كيف تجمع محرنجمًا؟، وكان غرضي من ذلك أن أعلم ما يقوله، أيكسر فيقول حراجم، أم يصحّح فيقول محرنجمات؟ فذهب هو مذهبًا غير ذين، فقال: وأيش فرَّقه حتى أجمعه![3] "[4].

المجموعة التجريبية: أعرابي اسمه: "أبو عبدالله الشجري".

---

(١) ابن جني، الخصائص، ج٢ ص٤٦٨.

(٢) ابن جني، الخصائص، ج٢ ص٤٦٨.

(٣) انظر: ابن جني، الخصائص، ج٢ ص٤٦٨.

(٤) الحموي، معجم الأدباء، ج٤ ص١٥٩٧.

المجموعة الضابطة: لم تُذكر في النص، ولعلها اللغة الشائعة عند غيره من أهل الاختصاص، ويقويه أن ابن جني يُقَوِّم أقواله (أي: يُقَوِّم المتغير التابع) بها.

المتغير التجريبي: كيف تجمع (محرنجمًا).

المتغير التابع: (وأيش فرقه حتى أجمعه!).

الاستنتاج: صحة الفرضية، وقد علّق ابن جني على المتغير التابع بقوله: "صَدَق، وذلك أن المحرنجم هو المجتمع، يقولها مارًا على شكيمته، غير محسٍ لما أريده منه، والجماعة معي على غاية الاستغراب لفصاحته"(١).

النص الثالث للفرضية الثالثة:

نقل ابن جني هذه التجربة عن غيره، مستشهدًا بها على صحة فرضيته، فقال: "وحكى أبو الحسن أو غيره، قال: سألتُ أعرابيًا عن تصغير (الحُبَارى)، فقال: حُبْرور"(٢).

المجموعة التجريبية: أعرابي لم يذكر اسمه.

المجموعة الضابطة: لم تُذكر في النص، ولعلها اللغة الشائعة عند غيره من أهل الاختصاص، ويقويه أن ابن جني يُقَوِّم أقواله (أي: يُقَوِّم المتغير التابع) بها.

---

(١) الحموي، معجم الأدباء، ج٤ ص١٥٩٧.

(٢) ابن جني، أبو الفتح عثمان، المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، تحقيق: حسن هنداوي، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص١٥٨. وانظر: ابن جني، الخصائص، ج٢ ص٤٦٨.

المتغير التجريبي: (كيف تصغير الحبارى)[1].

المتغير التابع: (حبرور):

الاستنتاج: صحة الفرضية، وقد عقب ابن جني مستنتجًا من هذه التجربة قائلا: "فهذا تحقير على المعنى لا على طريق الصنعة"[2]، وقال في موضع آخر: "وهذا جواب من قصد الغرض ولم يحفل باللفظ، إذ لم يفهم غرض أبى الحسن، فجاء بالحُبرور لأنه فرخ الحبارى. وذلك أن هذا الأعرابي تلقى سؤال أبى الحسن بما هو الغرض عند الكافة في مثله، ولم يحفل بصناعة الإعراب التي إنما هي لفظية، ولقوم مخصوصين من بين أهل الدنيا أجمعين"[3].

---

(١) ابن جني، المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، ص١٥٨.

(٢) ابن جني، المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، ص١٥٨.

(٣) ابن جني، الخصائص، ج٢ ص٤٦٨.

الخاتمة:

ثبت من خلال البحث والدراسة ما يأتي:

١) وجود مبدأ التجريب في الدرس اللغوي منذ أبي عمرو بن العلاء ومن تلاه كالخليل بن أحمد وابن جني.

٢) أن مبدأ التجريب لم يكن منظمًا أو محصورًا ضمن طريقة أو منهج واضح ودقيق كما هو متبع في العصر الحديث كاستخدام الإحصاء والاختبارات المعملية للتأكد من صحة النتائج.

٣) احتوت تجارب هؤلاء العلماء غالبًا على عناصر التجربة الرئيسية، وهي: المجموعتان الضابطة والتجريبية، والمتغيران التجريبي والتابع.

٤) لم يكتف العلماء القدامى لتأكيد فرضياتهم على نتائج إدخال متغير تجريبي واحد على المجموعة التجريبية، بل عمدوا إلى إدخال عدة متغيرات– بلغت أحيانًا خمسة متغيرات– على مجموعة تجريبية واحدة أو أكثر، كل هذا للتثبت من صحة فرضياتهم.

٥) أظهرت الدراسة أن الملاحظة والفرضية والاستنتاج هي جزء من الدراسة التجريبية عند علماء العربية القدامى.

التوصيات:

إن المطلع على الأبحاث اللغوية والرسائل الجامعية في أقسام اللغة العربية في العالم العربي يجد ندرة شديدة في تطبيق المنهج التجريبي لخدمة اللغة العربية، بل الحال أقرب للانعدام، مع أن إجراءها ليس بالأمر المستحيل، فقد استطاع باحث غير متخصص في العلوم اللغوية إجراء تجارب لغوية على تلاميذ الصف الثالث المتوسط لملاحظة أثر حفظ القرآن الكريم في التحصيل اللغوي وإنتاجه، فقسم عينة الدراسة إلى مجموعتين الأولى لحفظة القرآن الكريم والثانية لغير حفظته، واستبعد منهما الفروق التي تؤثر سلبًا أو إيجابًا على النتيجة عدا حفظ القرآن الكريم، واستطاع أن يقيس في تجربته جانب التذكر والفهم مع التركيز على الجانب التطبيقي(1)، وأثبتت النتائج أن استجابات المجموعة الأولى- المقبولة لغويًا لأكثر من ثلاثين متغيرًا تجريبيًّا- كانت أكثر من حيث السلامة اللغوية من مثيلاتها في المجموعة الثانية، وأنه كلما ارتفع عدد الأجزاء المحفوظة لدى التلميذ زادت درجة تحصيله اللغوي وزاد إنتاجه سلامة، ولعل مثالا -لدرجة قياس في تجربة الباحث على التلاميذ- يوضح الفارق الكبير بينهما إذ أظهرت التجربة أن الأخطاء الكتابية للحفاظ- مما تم حسابه- هي ٥,٥٥%، مقارنة بـ ٤٤% عند غير الحفاظ وهي نسبة كبير

(١) العريفي، يوسف بن عبدالله بن محمد، أثر حفظ القران الكريم في التحصيل اللغوي في مجال القواعد النحوية لدى تلاميذ الصف الثالث المتوسط، (أطروحة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤١١هـ/١٩٩١م)، ص٢٣٧.

جدًا[١].

وفي ضوء ما سبق يرى الباحث أن على أساتذة الجامعات بذل قصارى جهدهم لاعتماد المنهج التجريبي في أبحاثهم اللغوية، وتطويره، وتطويعه بما يتناسب مع خصوصية تخصصهم؛ كي تكتسب أبحاثهم نتائج واقعية ملموسة، شأنهم في ذلك شأن المستخدمين للمنهج التجريبي في العلوم المادية، وحث طلبتهم على السير في هذا الطريق لما له من نفع عظيم على اللغة وعلى متحدثيها مستقبلًا.

(١) العريفي، أثر حفظ القران الكريم في التحصيل اللغوي في مجال القواعد النحوية لدى تلاميذ الصف الثالث المتوسط، ص٢٥٩ وما بعدها.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر والمراجع العربية

١) جبل، محمد حسن حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم: مؤصّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠١٠م.

٢) ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ١٩٩٩م.

٣) المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، تحقيق: حسن هنداوي، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٤) سر صناعة الإعراب، تحقيق: أحمد فريد، القاهرة: المكتبة التوفيقية.

٥) الحموي، ياقوت، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣م.

٦) راجح، أحمد عزت، أصول علم النفس، القاهرة، دار الكاتب العربي، ط٧، ١٩٦٨.

٧) الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق، مجالس العلماء، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٣٢٠هـ/١٩٩٩م.

٨) الزمخشري، جارالله أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل معوض وآخرين، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٩) سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط١.

١٠) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

١١) الصغاني، الحسن بن محمد الحسن، الشوارد، تحقيق: مصطفى حجازي، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٢) عباس، محمد خليل، وآخرون، مدخل إلى مناهج البحث في التربية وعلم النفس، عمّان، دار المسيرة، ط١، ٢٠٠٧م.

١٣) عبدالحميد، محمد إبراهيم، علم النفس التربوي، الرياض، دار النشر الدولي، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٤) العريفي، يوسف بن عبدالله بن محمد، أثر حفظ القران الكريم في التحصيل اللغوي في مجال القواعد النحوية لدى تلاميذ الصف الثالث المتوسط، (أطروحة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤١١هـ/١٩٩١م).

١٥) القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، ذيل الأمالي ـ وهو ملحق بكتاب الأمالي، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٦) الكرماني، رضي الدين أبو عبدالله محمد بن أبي نصر، شواذ القراءات، تحقيق: د. شمران العجلي، بيروت، مؤسسة البلاغ، ط١، ٢٠٠١م.

ثانياً: المصادر والمراجع غير العربية:

Patrick mcneill & Steve chapman ,Research methods, (٢٠٠٥, Routledge, Third edition).

Claire Bowern, Linguistics fieldwork : A practical guide, (٢٠٠٨, palgrave macmillan, first published).

الموضوعات: